فاروق أوهان

رسائل حب من نيرغال

قصص قصيرة جداً



فاروق أوهان

رسائل حب من نيرغال

قصص قصيرة جداً



رسائل حب من نيرغال

قصص قصيرة جداً

الدكتور فاروق أوهان

LOVE MESSAGES FROM NERGHAL

BY

Dr. FAROUK OHAN

مؤسسة الانتشار العربي
Arab Diffusion Company
LONDON - BEIRUT
Email: arabdiffusion @ t-net. com.lb
P.o. box: 113/5752 - Beirut

ISBN: 1 841170 02 x

First Published in 1999

الطبعة الأولى 1999

المحتويات

رسائل حب نيرغالية

ثنائية عهد على نبوخذنصر

رسائل حب دموية

ثنائية الميزان

ثنائية الضيف والغرفة

ثلاثية الغائب

ثنائيات الشتات

الإهداء

إلى كل من ذهب دون استئذان

رسائل
حب وردية

بعد أربعة أعوام

فصدفة أحست أبريزية الشعر،
والمبسم والإرادة،
يبكرها في الأحشاء...
وذات فجر،
هرع الزوج للقابلة مبشراً بالضيف المنتظر.
فخمّنت هذه بفطنتها،
وخفة يدها.
أن عدة الحمل قد اكتملت.
لكنَ هاجساً ذكّرها،
بنزول الثلج المتأخر لأربعة أعوام..
فلربما جاء من يبشرها به..
وبسرعة سخرت من توارد خواطرها.
فلملمت حوائجها،
وخرجت لواجبها كالمسكونة.

وحالما حضر الماء المغلي،
صرخ المولود وشهق بفرحة الولادة.
فوطِىء الدنيا مجهول الهوية،
إلا من سمة الذكورة،
وخصلة ثلجية البياض تلوّن شعر رأسه.
صدفة كان اليوم ماطراً،
بتذكار عيد السعادة...
فسمي سعيداً..
للأهل،
للناس....
للأضابير..
كي يجدوا بكنيته،
تاريخاً تمتلى به ذاكرة عيونهم مع الأيام..
كانت البداية صدفة،
يوم السبت التاسع والعشرين من شباط...
وصدفة ستكون النهاية..

عقد قِران

عندما تخرج «عائدة» خلف «مهنّد»
من غرفة الاجتماع، تحمّسه، وتشجّعه
على تكرار المجيء، لأن في ذلك فائدة
له، فيسير أمامها بمشية رسمية..
وخوفاً من هروبه ثانية، تطوقه بيديها،
فيسيران إلى نهاية الممر..
تتشابك أصابعهما وهما ينزلان في مصعد العمارة،
فيعمدان إلى إيقافه مُعَلقاً بين طابقين،
مُفضلين التوقيع هنا، على ورقة زواجهما،
بالأحرف الأولى.

حكاية من حفيد

الجَدّ يعطف على بنيه،
والأحفاد يَتلُون حكاياته عبر السنين..
لقد كان أثقل من «صنين»،،،
وأقوى من حجر الصّوان،،،
وأصلب من عود البلوط....
له شاربان يقف عليهما صقر،
وعيناه يُرى في ازورارهما أفول القمر،
فلا يطير طائر إلا إذا منه ائتمر.
لكنه رقيق كعود الياسمين،
حنون كالأمهات،
وديع كاليمامة،
يفلح ويحصد أرضه بنفسه...
لا يُزوّج أبناءه...
إلا للفتيات الحسان اللواتي يختارهن بنفسه،
حرصاً على نوعية أحفاده الذين سيعيدون حكاياته.

حنين الدماء

في شوارع براغ، يبحث «بهنام» عن ولده،
بين العيون الراكضة هنا وهناك،
كان قد وضعه في لقاء الصدفة هنا.
قبل عشرين سنة،
فلا يجد زرقة عيون «ليديا» في كل الوجوه،
ويفَكّر:
هل سيجد ولده حقا؟..
ـ وهل لديّ ولد بالأصل؟..
صدق إن ذلك، فلسوف أميّزه من بين الملايين،
فالدماء ليست كالمياه كما يقولون.
ويتخيله شاباً في العشرين،
ويحلم باللقاء،
في كل لحظة،
ولفتة.

أو إشارة.
فالصدفة قد تحدث،
في ساحة.
أو مقهى.
أو محطة.
أو صف انتظار...
لكن الحلم مثل الكذب،
والهاجس أمل لا يرتاح منه،
إلا إذا التقى «ليديا» الآن،
كما التقاها لأول مرة هنا.

الشروع في الحب

في محطة قطار التقيا،
وفي مقهى شعبي تناقشا،
وفي مطعم صيفي شربا.
فامتلأ فماهما،
وشبعت غرائز الجوع لديهما..
ثم رقصا في نادٍ،
وفي ملهى ليلي تناجيا...
وفي آخر الليل أغلقا على سريرهما الباب،
فأغفيا على وسادة واحدة،
وعندما أفاقا،
لم يتعرّف أحدهما على الآخر،
فقاما بتبادل التواقيع،
والمواقع،
وهرب كل منهما باتّجاه معاكس.

إيحاء

على فراشه يدقّ «باسل» صدغه بإبهامه خمس مرّات،
فيفيق في الخامسة صباحاً.
ويوحي لجاره «سعد»،
بأن يسير على حافة الشرفة بساقه اليمنى...
وينفّذ هذا الأمر صاغراً.
وعندها يرن جرس الهاتف،
تنادي «أم سعد» ابنها من الوطن قائلة:
ـ هل مشيت يا ولدي «سعد»؟
فيخبرها بالبشرى.
ويتعجّب لنبأ معرفتها لسِرّه الذي سيطر عليه...
وعلى أصوات الهلاهل المزغردة عبر الهاتف،
يقرر «سعد» أن يلبي طلب أمه...
فحال عودته،
سيحقق حلمها بالزواج،

بعد أن يعبر على جسد شاة ذبحها الأهل في استقباله..
لكن «باسل» لديه خطة غيرها،
فحالما يقفل «سعد» الهاتف،
يعجز عن تحريك ساقه التي مشى عليها.
فيحاول جاهداً الوصول إلى جرس الطوارئ،
لكي يأتي طبيبه المعالج المختص.
لكن الوقت مبكرٌ،
وليس هناك إلا الطبيب المناوب.

تأمين

المهندسة تطقطق عضلات جسدها،
حتى مع إيقاعات النحيب،
فهي تنعي حظها،
على فقدان بوليصة التأمين على الحياة،
لأن المدة المقررة لها قد نفدت دون حادث.
وزوجها كاتب قصة أعرج،
يلوك حكايات محزنة عن التأمين بأنواعه،
ليجاري أحاديث المناسبة،
خاتماً أحزان التأمين،
والمؤمَنين،
بآخر ابتكارات النصب لشركائها على العملاء..

بورصة

تتشابك الإشارات، متلونة بالصوت،

والضوء،

النوافذ المؤدية لشبكة الإنترنت Internet،

تحار إلكترونياً،

عند رصف الحروف التسعة لمختصرات الجمل..

ويقرأ المدير العام الخبر على الموظفين،

ومدرائهم.

يُغمض عينيه للحظة،

يتجهّم وجهه لثوان.

وجوه الجالسين حفر واسعة،

كالبوابات العتيقة،

عيونهم كثقوب الأبواب،

لا يُرى من خلالها إلا ما يتسع لنافذة الشبكة Net Window...

نبضهم يتناغم متوحداً مع نظرات مديرهم،

المتجوّلة فوق حروف رسالة الشبكة،
مقارنة بين النظرة، والتعبير.
فتتغيّر ردود الأفعال على وجوههم كمؤشر البارومتر.
يتجهّم، فيتجهّمون.
يبتسم، فيبتسمون.
يسرح، فيسرحون.
ينفعل فينفعلون.
يجمد فيجمدون.
ويحار في التعبير، فيحتارون.
ولا يرتاحون إلا،
عند إسدال المدير العام ستائر عينيه فوق بوابتيهما.
فيأخذون قسطاً من الاسترخاء،
نازعين عنهم أقنعة التقمّص...
ومع ارتفاع حواجز الأجفان،
تعود الوجوه للبس أقنعتها أبداً.
مثل مقياس الحرارة،
تتذبذب المشاعر،
وانعكاساتها.
وعندما ينتهي إلى قراره،
يأمر السكرتيرة بطباعة وتوزيع المضمون كاملاً..
انخفضت كافة الأسهم ٩٠٪.

الخسارة في العدد الفردي

أحد عشر قدحاً،
توزعت على إحدى عشرة طاولة.
وأنا أحتسي الشاي من أحدها.
والنادل يحيي المارين،
وينادي على كل مقعد للطاولات العشر باسم «ياسين».
وعندما ألعب «النرد» مع العشرة المفترضين.
لا أجد العدد الزوجي في المتبارين،
إلا إذا طُردت خارجهم.
فأُضطّر للعب على الجبهتين.
جبهة الغالب،
وطرف المغلوب معاً.
حينذاك أخسر في الحالتين المتقابلتين،
وأفرّ بأرقامي إلى البحر.

اللسان والقلب

في بيت الحزن،
وجوه مقنّعة،
تتفوه بكلمات التعزية،
وعبارات المواساة...
تركب أعناق الحضور.
دواخلها تعكس أفكاراً،
بعيدة عن ديباجات الألسن الملتزمة بالمناسبة..
فحتى البكاء محسوبة درجاته،
متمشية مع المثل الشائع،
القائل:
ـ كل شيء بالدِّين، حتى دموع العين..!
وإلا فإنها دموع مصطنعة،
أو هو بكاء يقترن بمشاعر ذاتية للشخصية نفسها،
كحجة تتعلل بها،

ويكون البيت.
أو المناسبة،
مفتاحاً.
أو مشجباً.
يعلّق المَعزّون عليه همومهم.
ومن خلاله تتفجر أحزانهم،
تحقيقاً لمقولة الأسلاف.
«كل واحد يبكي ميته».

إحصاء

زوجة ترقب الجنرال حركات الجميع،
وترصدها،
تُحصي ردود الأفعال،
تخاف أن تطرف رموشها،
لئلا تفوتها أية إشارة،
أو تسيل منها صبغة «الماسكارة»،
أو تنزلق الدموع المصبوغة على وجهها المتغضّن.
وتهمس في أذن جارتها من أحد طرفي فمها،
حواراً،
يقرص ابنة الجارة نفسها،
فتنتقد تصرفها،
ومظهر هندامها الخارج عن الطور.
ودون تجهم مفترض تستدعي الأم ابنتها،
لتؤنبها على هندامها الذي لا يليق بالمناسبة.
فتجمد عينا زوجة الجنرال من الدهشة.

منافسة

الأرملة التي كانت عاقراً،
تبكي حظها العاثر،
تشكو معاكسة الإداريين،
وتحسد العروس حتى على زفافها المتأخر،
تغتاب الزوجة لغيرتها من تحررها المباغت،
ومنافستها في الترمل.

نكتة

زوجة المدير العام،
تتفوه بكلام غامض،
يضطر زوجها لافتعال حديث،
مصوراً للجميع،
أنها تتحدث في السياسة على مستوى عالٍ من الأهمية،
فيعرف بقية الجمع،
أن النكتة فجة حتى في الوجوم السائد.

تشاؤم

البنت الوسطى تفكّر في نذر أبيها،
ووعده لها،
برقصة شعبية منفردة،
عندما تُزَفّ إلى عريسها.
تلم بيدها فناجين القهوة.
وتعدّل برجلها فردة نعلها المقلوبة،
تشاؤماً من حدث جديد تتطيّر منه.
وفي سرها،
تعلن:
ـ وماذا أكثر من هذه الخسارة؟
فليس هناك أهم من فقدانها للنذر،
وصاحبه.
وعندما تنجز تعديل الفردة المقلوبة،
تعلم أن ما فعلته قد جاء بعد فوات الأوان..

مناصفة

بيده سمّاعة الهاتف،
يخبر مسعود شريكه، في الصفقة شارحاً:
ـ بيني وبينك الخسارة مناصفة،
ـ كما اتفقنا مسبقاً،
ـ لا تهتم،
ـ الأمور سوف تعتدل بعد أيام،
ـ إذا كان لديك نقدٌ يغطي،
(الأوفرنايت ـ Over Night).
«يبلل شفاهه بلعاب دخان سيكار،
من أوراق الدفلى».
ـ فإن الأمور لن تكون أكثر سوءاً.

القيد

تنزل مفسوخة الخطوبة يدها اليسرى،
وتصعدها مرات،
وقد خلت من القيد في إصبعها،
تتنفس صعداء الحرية،
ذارفة دمعة غير آسفة على ثورها العنيد..
تتعمّد الإشارة بيسراها كأنها تريد الإعلان عن حريتها.

أيام لن تعود

على شجرة جوز،
سنجابان يتضوّعان مسك الغَزَل.
وفي أسفل شابان يمصان رحيق الحب من فوّهات دنان العسل.
وعلى السياج،
عجوزان يتوكأ أحدهما على الآخر.
يصف أحدهما للآخر ما يشاهدانه.
فيمصان معاً أصابع الندم،
على الأعوام التي فاتت ولن تعود.

شماتة

على طاولته يقهقه «حامد» فرحاً،
بمناسبة سقوط الوزارة،
فيتباهى أمام زميله قائلاً:
ـ هذا ما كنت أريده،
ـ هذا ما كنت أتمناه.
ـ ضربة قاضية،
ـ وفوز ساحق على الأعداء.
فيسرع من سروره لنزع ملابسه،
والغطس في حمام،
من حليب (Longlife) المعلّب.

لا تأمن البحر

البحر يمد لسانه للصياد.
وفي الأعماق سمكة فضولية،
تود معرفة سرّ العلاقة بين الماء والشِباك،
وبين ذلك الكائن النافث لدخان سجايره حنقاً،
منذ ساعات الفجر الأولى.
ومن فوق لا يبالي القمر بهذا الثلاثي...
بحر جبّار،
وصياد يائس،
وسمكة نزقة،
فلكل منهم همه،
ونجواه..
لكن البحر يتغلّب على جزره،
عندما يغمزه القمر.
فتدخل السمكة من غفلتها في الشِباك،

وتلهو داخلها طويلاً،
لأن الصيّاد من ملله،
غفا فغطاه الماء..

عينا الوليد

الفتاة مخطوبة،

تعطل الأحداث،

مراسيم زفافها المرتقب.

تتخيّل عريسها المنتظر على شبابيك الفرح،

يرتعد من زوابع الغضب..

وعلى يسارها امرأة في أيام حملها الأخيرة،

تتأمل إضافة ما تركته الأحداث،

لعمر مولودها.

تداري انفعالها بمواساة أحمر العينين،

تمسح على بطنها براحة يدها،

تتأوه بين لحظة وأخرى من خواطرها.

يتخيّل الناظر إليها،

أن عيون المولود،

ورأسه،

موشكة على البروز بين آونة وأخرى.

عالم هجين

بوليفية الأب،
هجينة الثقافة،
والتربية.
ولادتها في «براغ»،
ومعيشتها في «لاباز»،
ودراستها في «منهايم»..
تتلفظ شفاهها الإنجليزية باللهجات الثلاث.
وتمتص دخان العلاج مع إغفاءة السنين على ضفة الدانوب.
فمها ينفتح على الأسرار،
ويداها تغزل الكلمات.
فتحرّك مع كل الإشارات قصصاً،
تتأرجح بين الطفولة والأنوثة الراقية..
وعندما يتقدم معجب لرقصة يطلبها فيها،
تعتذر من بين الدموع،
مشيرة لكرسي العجلات الذي تعتليه.

فتاة من بحر الشمال

عندما انقشع الضباب عن زجاج نظارات «أوميد»، وقد تعلّق نظره بين سماء القلاع الغرانيتية الملبّدة بالضباب، وبين دخان سيكار، كان فم «سارة» قد نفثه إلى جانبه. فوجىء «أوميد» بأن «يعقوبو علي» المسافر معه، قد اختلفت ألوانه، فالشعر، والأهداب، وحتى الأسنان قد ازدادت بريقاً على بريقها. و«أوميد» متعلّق بما ترسله «سارة» من دفء في الجو الشمالي البارد.

إن «سارة» التي تسير أمام «أوميد» وخلفه، تجعل الثلاثة يدورون حول أسوار القلاع القديمة التي جاء هو، و«يعقوبو علي» للتعرّف إلى معالمها التاريخية. فبدت «سارة» بكل تكوينها، أسطورية الملامح، كالقلاع مرتفعة الصوامع، يلتقطها ذهن «أوميد»، ولا يستطيع الفرز بينهما، وبين تلك القلاع، لأن «يعقوبو علي» يتوسط الأشياء ببريقه اللامع. غير أن مخيلة «أوميد» تجذب من صفات «سارة» الكونية ما يخصها، وتذهب معها إلى أقاصي الذاكرة، فتعود متكررة، مترددة كالصدى. أو كالرنين، فيراها «أوميد» مثل جوق يقف على تلال بلاده الشمالية بانتظار الزوّار، ليقدم

للضيوف تين «عقرة»[1] الناضج في سلال من أغصان الرمان. وينشد الجوق أغنياته، مثلما تفعل الأشجار المزهرة في ربيع الحب.

لكن «يعقوبو علي» يقفل نوافذ الذاكرة على «أوميد» من جديد فقد نعق هذا إلى جانبه، وطقطقت أسنانه من فعل البرد الشمالي الذي لم يحسه بعمره في فصول «أوساكا» كلها. فيعود «أوميد» كصدى دقات الساعات، كالزمن، كالريح، كخرير المياه أسفل الوديان. وقد جذبته «سارة» الذهبية من جديد بضحكتها، وسيكارها. لا تفارقها الإبتسامة من بين موجة الدخان، فتمتزج كلها على شفتيها في منحنيات الشمال حيث تشرق الشمس أحياناً، كأنها إحدى رسوم «تيرنر»[2] الضبابية.

(1) عقرة: بلدة كردية في شمال العراق.

(2) تيرنر: رسام بريطاني شهير.

لعبة النهاية

في غرفته يقرأ «محمود» بسرعة فائقة،
ويتلقف معاني أمر فصله قبل أن تلتقطها شفاهه.
فيراها ممزوجة بالمرارة مرّة،
وبلا ترتيب مرة أخرى.
يود ذهنه لو أن تلك الحروف المختصرة،
يعاد ترتيبها بأشكال جديدة،
لمعانٍ مغايرة،
خصوصاً كلمة هبوط.
وود «محمود» لو طار حرف الفاء،
أو الصاد،
وصارا حرفين يدلان على الترقية.
وبين الواقع والخيال،
يبدأ، نفسه بالاقتناع،
ويفكر بانهيار آماله،

وصيرورته إلى الحضيض.
وبين الحيرة والقلق،
يجف حلقه،
فيهوي رأسه على المنضدة،
وإبهامه تضغط على جرس التنبيه،
تاركاً وصية لزوجه،
أن تخرج إبهام قدمه من القبر.

ضلع آدم

في غرفة الخليلية،
سرير مزدوج،
كعرش آدم وحواء.
وأنا معها كأخوين.
نتسامر في باحة المجلس.
فتنام على ظهرها كفراشة منزوعة الجناحين.
تدور على عقبيها برقصة منفلتة الاتزان.
فأظنها تراودني.
فأراودها بالحوار،
والمناجاة.
وعندما أدعوها للعرش.
ترتجف وترفض،
لأن الذهاب إليه يتعلق بالشغل الرسمي،
وليس الحب.

آخر العنقود

في غياب الأب،
الأولى ـ الإبن تتنازعه رغبتان:
الغبطة بتولي أمور قيادة الأسرة،
وامتصاص دخان سجائرها المُرّة...
فهو آخر العنقود،
يلبس السواد على وجهه.
والثانية ـ يتعلم ممارسة التقاليد، وطقوس المآتم..
بثمن لم يُحسِب حجمه،
وفداحته الآن،
ينزع لاغتصاب الفرح الغافل،
في سهوة غير مقصودة..

الآخر(*)

اطمأن الحكيم إلى أنه في حقل بنفسج تغطيه الثلوج،
وقد سار برفقة شفيعه،
فارتسمت آثار خطواتهما على الثلوج،
وللحظة تختفي زهور البنفسج في حريق مفاجيء.
وعندما ينقشع الدخان،
ينظر الحكيم إلى الخلف، مفزوعاً،
فلا يجد سوى آثار لأقدام شخص واحد، فيزداد فزعاً.
فيتساءل الحكيم في سرّه:
ـ كيف حدث ذلك؟
ويأتيه جواب الشفيع كأنه صدى ذاته:
ـ إنني صنوك الآخر، لم ولن أتركك وحيداً في محنتك.
فإذا تصادف ورأيت خطوات أقدام شخص واحد خلفك،

(*) ملحوظة: كتب هذه العبارات مريض عاوده داء العصر.

فهي آثار خطواتي،
ذلك لأنني أكون قد حملتك على منكبيّ،
لأنجيك من مخاطر لا تحسها أنت بذاتك،
وآخذك إلى برّ الأمان.
حينذاك استقرّت نفس الحكيم، وهدأت.

التفاحة

لما وضعت الصغيرة «مجيبة» كومة الملابس البيضاء في قدر الغلي الكبير بناءً على تعليمات والدتها «مرتا»التي وقفت وراءها بوجهها العبوس وشعرها المنكوش، لم تكن تعرف أنها لن تقوم بهذه العملية بعد الآن، وأنها كانت منذورة لكي تصبح راهبة. ولعلها سُرّت كثيراً، وهي تتلقى الخبر من «المامير سان بول»، التي فاجأتهما بعد انتهاء عملهما، وهي تخرج من صومعتها في بيت الراهبات الذي تخدمان فيه. ولم تصدّق «مجيبة» ما سمعته من فرحتها، لكنها أيقنت من صرامة، وجدية «المامير» بأنها سوف تتخلص من النوم في غرفة واحدة مع أمها، وأبيها سائق الشاحنة الذي يأتي آخر الليل مخموراً، ولا يدع مجالاً لوالدتها لكي تغتسل بعدها.... وكم حارت «مجيبة» في التفكير، وهي تؤدي فريضة الصلاة أمام المصلوب في معنى تعاسة والدتها، وإصرارها على أن تتخلص من عذابات النساء، بذهاب ابنتها للدير. كانت دائماً تسأل في سرها، وما هي هذه العذابات يا ترى؟ ولم يأتها أي جواب. حتى ولا عندما سألت «المامير سان بول» مرّات. فقد كانت هذه تجيبها بأن ما تعانيه النساء هو من ذنوب الخطيئة الأصلية. وتعرف

بنفسها مما تعلمته أن الخطيئة الأصلية لم تكن غير طرد آدم وحواء من الجنة، لأنهما أكلا من التفاحة التي أغرت الحية حواء بأكلها. وتعود للتساؤل:

ـ وهل أكل التفاحة هو ذنب كبير يا «مامير»؟ فكل يوم نأكل التفاح ذا الخدين؟

ـ إنها تفاحة من نوع آخر يا «ماسير سان جان».

ـ هل هو تفاح أمريكاني؟

وتظل «مجيبة» التي أصبح اسمها «ماسير سان جان» تلحّ، ولا يكون الجواب غير معانٍ متشابهة كتلك. حتى كان يوم غضبت فيه «المامير» فأمسكتها من شعرها، بعد أن أفلت غطاء الرأس الأبيض منها، وقرّبت أنف «مجيبة» من وسط جسدها، تحكّه به قائلةً:

ـ إن التفاحة التي أكلها آدم من جسد حواء هنا يا معتوهة.

فبكت «سان جان» وتألمت، لا لشيء إلا لأن أنفها آلمها لكثرة ما دعكته، «المامير» وعصرته بين فخذيها. لكن هذه الحادثة ذكّرتها بمنظر ذكر البقرة اليافع، وهو ينط على ظهر «آكيه»، الخادمة المعوّقة في اسطبل الدير، التي لم تكن تبالي بأمره، وكأنها إحدى شخصيات ألف ليلة، وليلة خرجت لتوها، من بين بخار روائح الاسطبل، ولم تلبث أن عادت إلى ذاكرة شهرزاد. حينذاك تقرر مجيبة أن لا شيء يعوضها عن طعم التفاحة غير الخروج من هذا الدير، والزواج من أقرب خاطب لها، حتى ولو اضطرت أن تجاريه في ساعات الليل القريبة من الفجر بكل أسماله، وأوساخه، وعرقه، وفهمت معها معنى أن تترك حواء النعيم، وتتفتح على المعرفة، حتى ولو لاقت عذابات الحياة، وآلام الولادة، وسخط الأرض عند الجفاف.

الفرات

ركض «سعيد» نازلاً من غرفته في حارة «حوش البيعة» التي يسكنها مع والدته، وقد تنبأ بأن أخاه مسعوداً قد وُلد له ابنٌ، وسوف يدعوه «فرات». ولم تصدق أمه التي كانت قد استقبلته عند باب بيت «الأشرم» متحاشية مرور أحد يكشفها، وهي بملابس الغسيل، ومتوجمة من صاحبة الدار التي تراقب عملها، وتريدها أن تنهي غسيلها بسرعة. فأدارت فلقة الباب بوجه «سعيد» ابنها، قائلةً:

. ـ اذهب يا أهبل.

كان في كل اعتقادها أن امرأة «مسعود» قد تجاوزت سن الحمل، ولم تفد معها كل علاجات الدايات اللواتي كلّت أيديهن من خلط البيض بمركّز بول البقر. أو خلط الزعتر الأخضر بقشور قميص أفعى. أو غلي الكينا بمسحوق السمّاق. أو عجن طحين الشعير بماء الزهر، ومنقوع البطيخ الأحمر. أو وضع أوراق نبات «الزداب» في النبيذ تحت سماء صافية. كل هذا الاستعداد لا بد أن يسبق فراق الزوج لمدة خمسة أيام. ويأتي بعدها وصال مباشر.

وعلى «مسعود» أن ينتهي من حقن النساء بمصل التدرن الرئوي الجديد على عجل. ويقوم بعدها بمهمته كزوج يئس من قدوم ولده منذ أن تزوج قبل عشر سنوات. لكن حبه لزوجته لم يدعه ينتبه للسنين التي تمضي، ومن ورائها العمر... وها هو يشك في وحام الزوجة، حتى بعد أن انقضت الأشهر الثلاثة الأولى على الحمل متوهماً ـ رغم أنه ممرض صحي ـ بأن ما يحصل لزوجته ليس غير نوع من أنواع الحمل الكاذب.

ولكن «سعيد» كان قد حلم اليوم بميلاد «فرات» ورغم أن والدته خيّبت له فرحته، إلا أنه كان مندفعاً دون وعي منه ليخبر كل من يصادفه في المحلة بأن «فرات» ابن «مسعود» قد ولد. ولم يلق من أحد غير علامات التعجب، وبخاصة هؤلاء المارة الذين لا يعرفون «سعيد» ابن الغسالة. وحالما يتجاوزونه، يديرون وجوههم خلفهم باتجاهه محركين يدهم بحركة حائرة ساخرة. أو بما يدل على أن من مرّ بهم، ليس غير معتوه. بينما يكون «سعيد» قد سعى قدماً باتجاه شخص مار آخر.. وهكذا حتى وصل كراج السيارات ناوياً الذهاب إلى بلدة «باحزاني»(*) التي تبعد عن «الموصل» ثلاث ساعات في الوقت الاعتيادي، وأربعة أيام عندما تمطر السماء، فإذا بسائق الباص الخشبي «دنحا» يسلّمه خطاباً من أخيه، ويشفعه بكلمة مبروك. ولم يسمع «سعيد» صدى التبريك إلا عندما فضّ مغلف الرسالة ليقرأ:

ـ والدتي العزيزة: لقد ولد «فرات» أخيراً لنهنأ جميعاً بعذب الماء، وأولنا «سعيد» الذي تمنى لنا ولداً أسماه «فرات» منذ ليلة عرسنا.

التوقيع...... مسعود وباسمة

(*) باحزاني: بلدة الزيتون والتين يقطنها اليزيدية والسريان شمال العراق.

حروف الكلام

في الركن القصي،
امرأة،
تندب تخفيض الرواتب،
خوفاً من جوع مرتقب.
زوجها يحتسي مرارة القهوة في كلامها المبالغ فيه،
يتمنى قطع حروف الكلام،
على عضلة لسانها المتلونة كالحرباء..

أوراق السلوفان

أمام «حسّان» كومة من أعقاب السجائر،
وعدة أقداح فارغة من الماء، وفناجين القهوة.
توحي بقلقه،
وكأنه على موعد،
لكنه كان انتظاراً من نوع آخر.
فما زال «حسان» يفكر في الأرملة التي مات زوجها
تحت أقدام حصان القائد،
فقد تداعت صورتها إلى فكره،
عندما وقع نظره على عجوز نمساوية،
تسَرّح شعرها في كازينو «فيينا»،
وقد انشغلت عن العالم كله.
وها هي تحدّق بمرآتها العجوز،
ذات الشروخ،
وألوان وجهها المتداعي تحت وطأة الزمن.

تملأ المرآة بمزيج من كل طبقات المساحيق،
وألوانها،
وكأنها أغلفة سلوفان شفافة تغلف بتراكمها آثار الزمن الغادر،
ليعود لها الصبا والشباب.
شبابها الذي افتقدته،
بينما تتضح بانجلاء هذه المساحيق كل تأثيرات الزمن.
ويسمعها «حسّان» تتحدث في سرّها:
ـ كم يتحسر المرء على الأيام التي فاتت.
ويفكّر حسّان:
ـ كم يتحسر المرء عند حصوله فجأة على صورة قديمة له.
أو فلم مثّله،
فيفقد بهذه الحسرة انتماءه.
ويتنكّر لسلوك ذلك الفرد الذي غاب في أعماق المرآة.
وتناهى إلى سمعه صوت الأرملة يقول:
ـ إن الشمس برزت أشعتها أسفل سماء بطن تمثال القائد،
هذا كل ما أتذكره من تلك اللحظات المنسيّة.
وكأنها لقطة فوتوغرافية واحدة،
أنستني معنى الموت،
موت العزيز زوجي.
لذلك تزور الأرملة يومياً،
تمثال حصان القائد في حديقة «سان ماركوز»،
منتظرة تلك اللحظة التي تبرز فيها أشعة الشمس،
أسفل سماء بطن الحصان الذي يظل مخضرّاً كأوراق الربيع،

حتى عندما يذيب مطر «آذار» ثلج الشتاء ليجعل البرونز صدئاً،
متغير اللون،

وكأنه نوع من أنواع لحاء الشجر الجديد في إنباته،

لكي تستدرج من ذاكرتها تلك اللقطة المتجمّدة،

لوفاة زوجها تحت أقدام حصان القائد،

وتشعر بفخر،

وزهو.

ابتسامة

زوجة المرحوم لا تسمع من اللغط،
الظاهر،
والمخفيّ،
إلا رنين ضحكات الحبيب الغائب،
فقد ألهتها.
فصارت بعيدة بحواسها،
عابرة الأمكنة،
والأوقات،
تقطف من كل لحظة سعيدة صورة،
أو ذكرى.
أو موقفاً.
أو جملة.
أو لمسة...
هي شريط حياتها مع زوجها،

الراحل بعيداً..
فتعجب لهذا التناقض،
فصور الزوج،
وكلامه،
وأفكاره لا تزال تعيش معها،
حارّة دافئة،
لكنها سريعة كرعشة دافقة،
ومأزومة كعاطفة جيّاشة..
بينما لا يستجيب وجهه،
في الصورة لأيّ رد فعل،
وكأنه يبتسم للمدعوين على أمل اللقاء.

مسافة

كانت الأرملة تملك ذكريات،
لا يجاريها فيها أحد من أقرباء زوجها،
وحتى أخوتها.
وتتداعى الصور لديها لتعيدها لشبابها، وعزها.
وها هي ساهمة لا تحس بزميلتها العجوز الجالسة بقربها،
ربما لأن هذه أيضاً قد جمد تفكيرها،
على تداعٍ مرصود،
هو نوع من إغفاءات الشيخوخة،
لأن الزميلة ظلّت
تركّز نظرها على زاوية المنضدة البرونزية،
وكأنها اعتادت حال الأرملة،
ولعلها سمعت كل كلمة منها مئات المرّات،
فراحت تستكين للأمر حالمة ناعسة،
مرتاحة،

ومريحة،

تغفو بين فينة وأخرى،

وعندما تعود،

تود لو تستأنف حوارها،

ولكن لا مجال لها،

فمن يسمعها؟

فالأرملة منشغلة في تأملاتها،

لذلك لا تجد إلا «النادل» يفهم المكونات العجيبة في العالم الصغير الذي يشغلها.

فيل البحر

فيل البحر في متحف Sea World للأحياء،
يسبح مع فيلته كالمغزل،
وقد تكسرت ظلال أنيابه في الماء،
وانتشرت شعيرات شاربيه.
كأنشوطة،
أو نسيج دانتيلا،
وعندما ينام فيل البحر على ظهره،
فوق صخرة مبلولة بماء البحر،
لا تميّز السائحات لونه، عن لون الصخرة.
وينزعج فيل البحر لهذا الإهمال،
فلطالما أُعجبن بفنونه مع معشوقته في الماء،
فماذا دهاهن يا ترى؟
فيقوم بتحريك زعانفه السفلية،
مبرزاً أنيابه، وشاربيه،

وسلاحه،
وكأنه ينادي الجمهور على بضاعته.
ومع هذا لا يلقى أكثر من ضحكات ساخرة،
وأخرى مستحية.

التوأم

إشتاق نبيل إلى خواصر السمك،
وأطال لحية شقراء بلون الزعفران،
وعندما استحم عند حافة البحر الرملية،
لم يفكر باليوم القادم له،
لأنه في الحلم سوف يقابل الحبيب،
فالحبيب صعب المنال،
والحياة قصيرة،
والوقت أقصر من أن يقطعه سيف التأمل،
وانتظار تداعي الذكريات.
وعلى الضفة الثانية شقُه الآخر يتنفس غبار الطلع،
ويناجي النفس،
ويناغم روح التداعي،
وشغاف التخاطر.
هامساً:

ـ حنانيك روحي، ومهجتي، فقد طال الفراق، ومزقتنا اللوعة.
ويجيء الهاجس كأنه برق لا رعد قبله، ولا بعده،
شيء ما لا يمكن تجاوزه إلا عبر الخيال،
وينسى نبيل لحيته الشقراء، ولا يشتاق لخواصر السمك،
وينسى صعوبة التمني،
فحلم اليقظة أقوى من لقاء.

المُراد

عندما أدار «سليم» الأعرج المفتاح الخشبي، ورفع المزلاج بعكّازه، لم تزكم أنفه رائحة الصوف، فقد تلاشت الأكوام التي كدّسها في المخزن لفصل الربيع، كان قد قايضها بسلع استهلاكية مع رعاة جبل سنجار. وتلوح «لسليم» جزّة صوف حمراء غريبة، عُلّقت وسط سقف المخزن، فيفزع، ويهرع إلى مزار «الست زينة» القابع فوق تلة محلة «البرج»، لعله يقابل هناك «ألمير إيزدين»، ليعلمه بموضوع السرقة، ويستفهم عن سرّ جزّة الصوف الحمراء.

لكن «سليم» لا يجد سوى امرأة تتبخّر بدخان الحرمل، وقد جاءت تطلب مرادها من «الست زينة»، وشفيعها. فيحكّ «سليم» معها حجره المصقول على جدار المزار الأملس، ويضمران مرادهما معاً وقد تلامست أصابعهما، وامتزج العرق بصبغة الحنّاء، وكأن «ألمير» هو الذي وهبها بركته...

وفي طريقه يقابل «سليم» جاره «شمسي» فيجف ريقه وتتبخّر نشوته من نظرات «شمسي» الفضولية، ويتذكّر حينها عكازه لأول

مرة. فيسرع ليخبره بحادثة السرقة غاضباً. فينصحه «شمسي» بالذهاب معه إلى بيت «ألمير».... لكن «ألمير» الذي تصدّر الديوان، قابلهما بهدوئه المعهود كفارس، لا يرمش له جفن، وكأن شاربيه جناحا باشق حرّ يطير في سماء بلدة «سنجار»، وحقولها الخضراء، وقد انبرى قائلاً:

ـ إن ما أخذ بالغدر، والخلسة! لا بد من استرداده باللين والدهاء!! ويفطن «سليم» الأعرج، لدهاء «ألمير»، فارس الطائفة الأكبر، ويعجب كيف فاتته فطنة التاجر الماكر. وعندها يغادر الديوان، وفي باله أكثر من تساؤل، فمن المقصود في كلام «ألمير» يا ترى هل أحس «المير» بما حصل معه في المزار، أم أن «شمسي» الذي تأخر عنه بحجة تسليم التبرّع الشهري للطائفة سوف يوغر صدر «ألمير» وجماعته عليه. ويبرر «سليم» فعلته في سرّه:

ـ ما ذنبي إذن؟ لا هي من طائفتهم، ولا أنا.

ولا ينام ليلتها، لأن المرأة التي أدار لها ظهره بعد أن تنشّق عبير الحناء في شعرها قد دخلت كل أحلامه المتواترة، تقطعها كالسيف كلما اندمج في حلم عميق. ولم يعد «سليم» يشم روائح الصوف، ما دامت صبغة الحنّاء قد عفّرته إلى الأبد. ويهرع «سليم» من فوره إلى المخزن، قبل أن يصحو السوق على حيل التجار، «بمن فيهم شمسي» لكي يتفقد جزّة الصوف الحمراء، لعل فيها سراً يكشف اللصوص، لكنه يجد أصوافه قد عادت إلى مكانها، ولا أثر للجزّة الحمراء.

وبعد أيام عندما يدخل «سليم» ديوان «ألمير إيزدين» شاكراً لمعاليه معروفه، يرى جزّة الصوف الحمراء معلّقة فوق رأس «ألمير»، الذي بادره بالعتاب ويده تشير إلى الجزة:

ـ لم يكن الصبغ الأحمر غير إشارة تحذير، لهذا أخذنا الجزّة عربوناً لأن مقايضتك معنا ليست عادلة كل مرة.

ويفهم كلاهما بنظرة خاطفة معنى الدهاء، واللين. وفحوى استبدال رائحة الحناء بجزة الصوف الحمراء. ومن يكون أحدهما للآخر.

رسائل
حب نيرغاليّة

وجه المعمدان

عندما تقدم المدعو يحيى،

لتبريك الصغير بين يديه،

جذبته يد سحرية،

وجاءه همس عالٍ، تخيّل معه أن الكل قد سمعوه:

ـ امسك الطفل برقة، وهوادة.

وتبرز من الصورة التي أمامه رأس يحيى بن زكريا، قائلاً:

ـ ألم تعرفني، أنا الذي جئت مبشراً باسمه.

وينقطع كل شيء فجأة، فقد علا صوت الكاهن مزمجراً احتجاجاً على عدم التزام الجمع بتقاليد وتعليمات الطقس، فهاهم يشعلون الشموع، ولمّا يأتِ الإذن لهم بإيقادها:

ـ لو سمحتم لا فعل في الطقس دون اتباع التعليمات.

ويقول الكاهن وهو يرفع زيت «الميرون» على سبابته، ويمسح بها جبين الصبي، ورقبته، وأذنيه، وعينيه، وفمه قائلاً:

ـ بهذا الزيت تطلق حواسك، ومن خلال دعوتنا يُستجاب لك بالنور الأزلي.

وبعدها شرح الكاهن معنى استعمال زيت من خواص الزيتون في مسح الطفل، والمريض، والمنازع في الرمق الأخير، فإن المسح بالزيت ألاّ يستطيع إبليس إمساكهم، وهذا تقليد درجت عليه الشعوب منذ الخليقة، فقبل زيت الزيتون حملت الحمامة غصن الزيتون لنوح، واستعمل المصارعون زيت الزيتون عند المصارعة لكيلا يسهل إمساك واحد للآخر.

ـ امسك الطفل برقة، وهوادة، لكي لا ينزلق يا يحيى، فقد خرج من ممسحة الزيت لتوه.

وحار المدعو يحيى إشبين الطفل من أين جاءه الصوت، وإلى أين ذهبت صورة يحيى بن زكريا. ولم يصدقه أحد عندما روى رؤياه تلك للآخرين.

خيبة أنكيدو[1]

فتح تمثال «أنكيدو» عينه اليسرى،
وتحركت عظامه لتخرج من هيكلها الصنمي،
فأدركه الإعياء لفترة.
ولكن الدهشة باغتته فجأة،
فقد رأى أشباهه مبعثرين على خارطة العصر،
غير أنهم لم ينزعوا عنهم بداوتهم،
لأن بائعة الحب لم تعد تغري الراعي البدوي،
بقدر ما يغريها بريق المعدن الذهبي.
ولأن «أنكيدو» بموته قد أوحش «غلغامش» ونكبه،
فعاش وحدته حزيناً.
فقد بقي في نفس «أنكيدو» شيء لم يقله عندما ودّع صديقه «غلغامش»[2].

---

(1) أنكيدو: خلّ غلغامش، وصديقه: مثال الحكمة والقوة، بموته بحث غلغامش الجبّار عن الخلود.

(2) غلغامش: بطل ملحمة الطوفان، وملك أوروك، ثلثاه غير بشري.

• لهذا عاد الآن ليجيب عن التساؤل الذي سمعه بعيني «غلغامش»، والحسرة تقيد كلامهما:

ـ لماذا أنت ذاهب؟ وإلى أين؟

ـ أيحتاج السفر البعيد إلى هذا الرقاد بلا زاد؟

غير أن «أنكيدو» لم يكن لديه الجواب وقتها،

وظل يجمع معلوماته في «نيرغال»،

وكأنها ومضة هذه التي أغفاها:

ـ فأين «غلغامش» العظيم يا ترى؟

ولم يلق «أنكيدو» القادم إلى هذا العصر لتساؤله جواباً،

فقد تشظّى «غلغامش» لآلاف الأفراد،

والأنواع،

لبست كلها أقنعة صديقه،

ولم يعودوا بحاجة لتلك القوة العظيمة من صديق مثل «أنكيدو».

أو ما أشباهه لكي يقتلوا «المارد خمبابا»[3].

فزرّ واحد يكفي في لحظة لكي يقتل حتى آلاف الثيران السماوية[4]، التي تستدعيها «عشتار».

وهكذا أغمض تمثال «أنكيدو» عينه اليسرى دون عناء،

وسكن منذ ذلك اليوم،

وفي نفسه جواب لم يرده لصديقه «غلغامش».

---

(3) خمبابا: مارد عظيم، حارس غابات الأرز، قتله كل من غلغامش، وأنكيدو.

(4) الثور السماوي: ميناتور أرسلته عشتار بيدلا من خمبابا، إنتقاماً من أنكيدو، وغلغامش الذي رفض حبها.

ثنائية عهر
على نبوخذ نصر

1 ـ مناكفة في نيرغال

تعجب «نبوخذ نصر»[5] وهو لا يعرف،
إن كانت «سميراميس»[6] قد سبقته في التاريخ،
أم أنه هو السابق،
فلقد تعارفا في «نيرغال» فقط،
وعرف أنهما ينامان في أرض واحدة،
ولا أحد في هذا العصر قد تعرّف إلى بقايا عظامهما،
وفجأة ضحك «نبوخذ نصر» إلى حد الإغماء،
فقد تخيّل «سميراميس» في الرفات المجاورة،
ولم يبق على هيكلها العظمي،
سوى شعر أسود فاحم،
تقطّعت جذوره،

(1) نبوخذ نصّر: أحد ملوك بابل العظماء.
(2) سميراميس: ملكة بابل زوجة الملك نينوس، في زمنها شقت الترع على الفرات، ووصلت الملاحة إلى أعالي الفرات في هيت بلدة القار والإسفلت.

فصار مثل كومة غزل عبث فيها عنكبوت،
وباض فيها النمل،
فيقول في سرّه:
ـ كم تعذب «نينوس» عندما نام مع زوجة القائد،
ليلة أرسله إلى «نيرغال»،
وهو يعرف أنه قد أرسل زوج «سميراميس» إلى «نيرغال»،
ولا يعرف أن «سيمراميس» تعرف أن الملك «نينوس»،
قد أرسل زوجها إلى «نيرغال».
ومات قائد «نينوس» غيلة،
أما نينوس فقد مات تحت أنقاض أسوار الجنائن المعلقة، في بابل.
فامتلكت «سميراميس» طيور سماء بابل،
وشربت أسماك «سميراميس» من فرات النهرين،
وعبرت خيول «سميراميس» على قناطر النهرين،
ولم يكن «نينوس» يعرف،
أن «سميراميس» قد سحرها قلب الأمير الجبلي «أوميد»[3]،
وأن «أوميد» لا القائد هو الذي سحر قلب «سميراميس»،
ولقد مات «نينوس» متحسراً على زوج «سميراميس»،
ولو يدري الحقيقة لما مات.
وتفتح «سميراميس» في الرفات المجاورة فمها بغيظ،
لتردّ على جارها المناكف،

(3) أوميد: أمير جبلي من الشمال عشيق سميراميس لا زال اسمه متداولاً لدى الشعوب الآرية ويعني ـ أمل.

وتغمغم من بين شفاه عافتها الديدان:

ـ لو أن «نينوس» عرف الحقيقة لما مات؟

وتضحك بخبث:

ـ إنما كان قد أسرع إلى «نيرغال» قليلاً.

فيجيبها «نبوخذ نصّر»:

ـ عليّ إذن أن أجمع الثلاثة معاً، لنعلمهم بالمفارقة.

ولم تسمعه «سيمراميس» لأن إغفاءة سريعة قد سرقتها.

2 ـ عهد

عهد لـ «سميراميس»،
ظل «نبوخذ نصّر» يبحث عن العشّاق الأعداء،
والأزواج الألدّاء.
القائد،
الملك «نينوس»[1]
والأمير «أوميد»
فقد وجد «نبوخذ نصّر» أن القائد ما زال يحمل علم الملك،
ويحرس عرشه.
أما الأمير «أوميد» فقد ظلّ يتحاشى الاثنين.
فسأل «نبوخذ نصّر» الأمير «أوميد» عن أخباره فقال:
ـ مشتاق لثغر «سميراميس».
وغفا «نينوس» على عرشه قليلاً،

(1) نينوس: زواج سميراميس، وملك بابل العجوز

فسأل «نبوخذ نصّر» القائد عن حاله، فأجابه:
ـ مشتاق لعيون «سميراميس».
أما «نينوس» فتمتم بين النعاس، واليقظة:
ـ آه يا ويلي من خائن،
لو يدري حارسي؟
لأماتني هنا ألف مرة.
وقهقه «نبوخذ نصّر» من رفاته،
ومدّ يده لتبعثر كومة النمل الأبيض من على صدر «سميراميس»،
لكي تنظر عشاقها الثلاثة قائلاً:
ـ لو يدري «نينوس» أن حارسه قد سجنه في عرشه هناك أيضاً؟
فتمتم «سميراميس»:
ـ دعهم بحق «مردوخ»[3]،
ولا تنتزع عنهم مُثلهم التي ماتوا من أجلها.
لكن «نبوخذ نصّر» لم يستجب،
فقد عاد ليجمع الثلاثة،
لكنه لم يجد القائد،
لأن الملك «نينوس» قد استطاع أن يرسله في مهمة جديدة.
وتعجب من إخلاص حارسه الجديد «أوميد».

(3) مردوخ: كبير آلهة آشور، وبابل.

أصبع شهريار

وقف طفل أمام نصب شهرزاد، وشهريار، وتعجّب وهو يقارن كفه بكف الملك شهريار. ففي يده خمس أصابع، أما في كف تمثال «شهريار» فأربع ولم يفهم لماذا بترت سبابته المشيرة إلى «شهرزاد»؟

وقبل أن يسير في طريقه مفزوعاً كلّمته عصفورة وقفت على كتف تمثال شهرزاد، وكأنها سمعت خواطره الدفينة:

- بترت أصبع «شهريار» لأن وجهه يقابل النهر، ومن ورائه القصر، ولأنه لم يكن يشير إلى شهرزاد فقط،

بل إن السبب في عينيه اللتين لم تتبعا اتجاه السبابة، لهذا بترت سبابته،

أما ذنب السبابة فقد كان لأنها ما تزال تشير باتجاه النهر، والقصر،

- وهل ترضى شهرزاد بذلك؟

- أما شهرزاد فلأنها المشار إليها، وظهرها للنهر، والقصر، فلم تدرِ ما سبب بتر السبابة،

لكنها تعجبت من استمرار تحديق العينين، وإرسال سهميهما،
كتيار النسيم الهادئ،
كرذاذ ماء تناثر عن بعد من بقايا شلال ساحر،
ولأن إزميل النحات قد صدئ،
وجفّت عروق قلبه،
فليس من طائع، ولا مطيع يتقن تشويه التمثال وتحويره،
ـ ولماذا العمل على تشويه التمثال؟
ـ لأن أشعة الشمس ما تزال ترسل انعكاساتها من ماء دجلة،
إلى مكان الأصبع المكسورة،
وما تزال الأشعة تبرق في عيني شهرزاد كل صباح.
عليك أن تفهم إذن!
وتزقزق العصفورة وتطير بلا قلق،
ويتأكد الطفل أن زمناً ربيعياً آيلاً للقدوم؛ لا محالة.

كأس أبي نواس

تسكّع شحّاذ، وسكّير على قارعة الطريق،
وهما يرتشفان آخر قطرات بقيت من قناني الخمر الصغيرة،
قال الشحاذ مشيراً إلى تمثال أبي نواس:
ـ فرغت كأس أبي نواس من مدامها.
فأجابه السكير:
ـ أنسيت أننا في الشارع المطل على قصور هولاكو،
لم تعد تُسكر أبا نواس رشفات الرحيق،
فقد أسكره الدم القاني،
الممتزج بغرين دجلة حتى الثمالة،
وامتلأت كأسه بدموع النخيل مقطوعة الرؤوس،
دون أذن.
حينذاك نزع الشحاذ أسماله،
وكشط جلده،

لكن أوساخه ظلت تغطي عريه،
وقد حسد السكّير على عدم اهتمامه بعاره.

رؤوس النخيل

صلّى مزارع أمام مسلّة «حمورابي»[1]، في حقول بابل،
وبما أنه كان قد نسي أقانيم الصلاة،
فقد توسل بأدعية قديمة قائلاً:
ـ آه يا «حمورابي»،
كم نخلة قطعوا رأسها،
وكم من عراب حصل على وسام،
وهو يقدم لـ «خمبابا» رؤوس نخيل بستانه، ليفترسها،
ويترك موائد الفقراء الفارغة،
لكن حمورابي أشار له،
إلى القصاص الوارد في شرائعه،
أما الفلاح فلم يقتنع،
لأن خمبابا العصر قد تقمص كل أدوار البراءة.

(1) حمورابي: أبو الشرائع، والقوانين في بابل القديمة.

كانت نبوءة

ظهر العرّاف يوماً على تل مهجورة قرب بوابة «نمرود»[1]،
فقد كسدت مهنته،
لأن عرافين جدداً قد ظهروا على شاشات «التلفزيون».
وأخذ يهذي:
- تظهر يد عفريت في حلم «بيلتاصر»[2]،
كالتي ظهرت في كوابيس «نيبوبلاصر»[3]،
و«تغلاصر»[3]،
و«شلمناصر»[3]،
تكتب أدعية، وأحجية،
لم يكن في الذاكرة،
غير حكيم تائه مفسراً للحلم، يتكهّن:

---

(1) نمرود: إحدى عواصم الآشوريين، وهي على اسم ملكها النمرود.
(2) بيلتاصر: أحد ملوك آشور، رأى حلم في منامه، واحتاج لتفسير.
(3) نيبوبلاصّر، تغلاصّر، وشلمناصّر: ملوك آشوريون لهم منامات، ومفسرون.

ـ اليد كتبت تحذيرها،

اليد تنادي بالانتقام،

اليد تطلب التوبة،

ويحار العرّاف في التفسير ليقول:

ـ واعجبا!

أما عرف حكماء آشور، وعرّافوها التفسير؟

أم أنهم تغاضوا عنها؟

أو أنها لم تكن أصلاً إلا أحلام الحكيم التائه؟

ويتذكّر العرّاف قول عابر سبيل كان يسترق السمع:

ـ لم يكتب عرافو آشور عن كوابيس «بيلتاصر»،

ولم يعلمونا بهوسه،

أو شربه للدماء،

لأنه كان شهوانياً،

لا ينام ليلته،

إلا وعذراء هيرودية تتوسد رأسه صدرها المدرار،

حينذاك يقفل العرّاف كتابه المهترىء،

ويقطّع مسبحة أدعيته،

ويهرب عبر الحدود إلى الآفاق الأربعة.

ثلاثة وثلاثون

يقول جون - John، لجوون - June:

- أنت تأتي في الصيف دائماً لتدل الناس على الربيع القادم، فهل أنت يوحنا المعمدان؟

ويجيب جوون June على John:

- جئت لأبشّر بالقادم باسمه في الصيف الثالث، والثلاثين، وبعد أن عمّر ثلاثة وثلاثين ربيعاً.

ويسأل جوون June مرة ثانية:

- ألم تأت باسمه متعجلاً قليلاً؟

ويقول جون John:

- ألا تعلم أن حاصل جمع 33 = 30 + 3.

أو حاصل ضرب 33 = 11 × 3.

ويرد جوون June من جديد:

- ما هذه الفذلكة،

قل لنا ما تفسير معادلاتك هذه؟

ـ أبداً إنها إما ثلاثون أضيف إليها ثلاثةٌ،

أو أحد عشر مضروبة بثلاثةٍ،

لاحظ أن الرقم ثلاثة هو الفاعل في كل الأحوال.

وأخذ جوون June منذ ذلك اليوم يهذي، وقد حار بالرقم ثلاث،

وتعجب المارة من وضعه،

فلم يكن في ذلك الوقت جدول ضرب، ولا رقائق حسابات «ألكترونية». واعتقد الناس أن حرارة الصيف قد أثّرت عليه. لهذا أسماه الناس حزيران.

نائلة[1]

وفي الأنبار تحارب نائلة خصومها الرومان،
وتختلس نظرة علي أحفادها الذين تاهت خطاهم،
فتعاتبهم على طول إغفاءاتهم قائلة:
ـ فهل كان لازماً أن تناموا حتى الفصل الأخير،
وحتى تُفصل آخر رأس عن جسدها،
ألم تشاركوا حفيد «نقفور»[2] مشاريعه التي جففت الماء في الفرات،
وحرقت بساتين الخالص،
ومسحت بالأرض بيوت بامرني[3]،

---

(1) نائلة: إسم الملكة الزباء.
(2) نقفور: أحد القادة الرومان في حروب الثغور.
(3) بامرني: مدينة كردية في شمال العراق، مدينة النقشبندية، مسحها الجيش وسواها الأرض بعد أن حرقها.

وقطعت رؤوس النخيل في البصرة؟
أجابها المظلوم، وهو يلتقيها وراء السديم:
ـ غفرانك يا سيدة الأنبار،
رحماك يا زبّاء،
لم نكن نعتقد أن الروم ما زالوا مزروعين في أرضنا؟

ثور مجنح فوق نينوى

فجأة أحس أهل «تل قوينجو»[1] أن شيئاً ما يطير في سماء «حي الزهور»[2]، لقد غطّت غمامة أعين المتحلقين سجوداً، فوق سطح الدور كعادة الناس منذ بداية الصيف، فلا ينام الناس في «نمرود»[3] إلا سجوداً، لأن النوم على الظهر قد منعه «خمبابا». ويغطي الناس أنفسهم لا إرادياً. بل إن من كان ينام بين جدران الكلّة الأربعة تمنى لو أنه أخاط لها سقفاً، فقام معاتباً زوجته في غبش الصبح. ولكن المرأة التي لم تعد ترى مثل الآخرين، فوجهها إلى أسفل، ولم تنبت لها بعد عينان في قفا الرأس مثل جاراتها. تنهر زوجها لأن ما سمعه ليس إلا إحدى كوابيسه الليلية بعد عشاء «باجة»[4] في حي «باب الطوب»[5]. ولأن سمعها قد ثقل من اختلال خلقه الجسم الطائر. وفي الحقيقة لم يكن قد طار غير نصف جسد ثور مجنح ملّ من

---

(1) تل قوينجو: أطلال مدينة نينوى عاصمة الآشوريين.

(2) حي الزهور: حي في مدينة الموصل قرب أطلال نينوى.

(3) نمرود: إحدى عواصم الآشوريين.

(4) الباجة: اسم فارسي لأكلة عراقية «فتة الكوارع».

(5) باب الطوب: سوق في مدينة الموصل.

وقوفه أمام إحدى بوابات «تل القوينجو» الذي كان سورا لنينوى العظيمة ذات يوم، ولأن نصف الثور المجنّح الآخر قد ظل ملتصقاً بحافة البوابة فقد اختلّ توازنه، لهذا اصطحب الطيران جيوب هوائية ثقيلة أثرت ليس على نظر الناس فوق الأسطح فحسب، وإنما أيضاً على سمعهم، وقد تصورها الناس إحدى حيل، وبدع خمبابا..

فقالت «ديما»:

ـ شبعنا من الأعاجيب، التي يختلقونها، فلربما سنسمع هذا الصيف أيضاً بعذراوات أخريات يظهرن فوق جبل مقلوب[6].

وأجابتها أخرى متهكمة بالقول:

ـ والله فكرة، لكن الأَوْلى بهم أن يستدعوا لنا القديسة سارة[7] إبنة سنحاريب.

وولولت ثالثة بقولها:

ـ كان المفروض أن نكسر الجرار المملوءة بالماء، برميها من فوق الأسطح في أول تموز الذي يغلي فيه الماء في الكوز. وكم من كوز غلى في تموزنا.

ـ لم يبرد الماء فيه، ولا غليل لنا قد شُفي.

لكن «مرجانة» عللت هذه الظاهرة بأن الأعداء قد افتعلوا شيئاً ليخيفوهم، ولكن هيهات لهم فهم صامدون هنا. وراحت ترثي لحال المتطيرين، والجبناء، والخونة... حتى تحول الكلام إلى سجال تعيده مع نفسها.

---

(6) جبل مقلوب: اسم جبل في منتصف المسافة بين الموصل وأربيل، فيه دير الشيخ متى.. وصومعة ابن العبري.

(7) سارة: ابنة الملك الآشوري سنحاريب آخر ملوك الآشوريين الوثنيين.

أما الثور المجنّح الذي تخلّص من حجريته لفترة، فلم يجد حول السور أي حصار قريب، فقد تصور أنه يسمع جلبة تواجد جيوش جرارة، فما بال الناس جياع لا يجدون ما يأكلون، ودجلة يركض بمياهه إلى المصب، ولا ينقطع عن الجريان. يبدو أن خمبابا قد رجع إلى عادته ليلتهم بشهوانية كل شيء حتى الحجارة، وخاف نصف الثور المجنّح من هذا الفأل على نوع الحجر فيه وتمنى لو يعود إلى مكانه على عجل قبل اكتشاف أمره. ويقوم كل من صحا على الأسطح برمي كوز الفخار بمابتبقى من ماء الليلة الماضية، متأسف على برودتها، وطعم الكبريت فيها، لكي يعود نصف الثور المجنّح إلى مكانه مطمئناً، ويهدأ.

رسائل
حب دموية

الغصن والجدران

مشوية الأطراف يقلبها بهق شمسي،
تهرب من الأصداء الراجفة،
تنزل العتبات حالمة بورودها الذابلة،
وتقليد العذارى بتسريحاتهن...
تنشر غسيلها الحائض..
تتعثر،
فتتبعثر وريقات سروتها الجافة..
المرمر لا يمسك قدميها عن الانزلاق،
عند الإسراع للإمساك بما أخذته الريح...
المرمر نفسه كان في درب آلامها علامة..
فبانتظار الجدار راقبها اثنان بكلامهما الثاقب.
وقف أحدهما كالباب الموصود..
والآخر رصد خطواتها.. ألحّ بالسؤال..
ـ أنتِ مِنّا؟

ـ ....

ـ معنا؟

ـ ......

ـ علينا؟

ـ ....

خطواتها المسرعة تتقي السقوط الأملس،
وظلّ تابعها يتكسر في التماعات الأرض،
والجدران المرمرية..
ـ لا منافذ للهرب! لا نوافذ للهواء!
عند نهاية حادة...
يتردد التابع كموظف...
وعلى صوت السقوط، ترى
الظلّ كدمية تتهاوى بتداخل فضائي..
تفيق وقد استرخت أعضاؤها...
ويمينها تمسك بغصن مخضرّ.

التهمة برقية تعزية

كوالد هاملت،

تطوف بعباءة الموت الأزرق،

تعتب بصوتها البارد،

المرتجف خلف الأسلاك.

ويدوّي النذير،

تبرق للحبيب المغترب.....

(X)... أنا أتلاشى... (O)...

إلحقني أيها المقيم في الغربة...

(توقف)... !!

وفي الأحشاء يغوص الصوت في صندوقه،

تجمد صورتها في منافذ الذات،

لا نافذة تشبع بهواء الشجاعة،

فلا وجهها يُنسى،

ولا صوتها يُمحى،
فصورتها تهيم،
كبسمة أزلية مع أحلام الذكريات.
أم الطفولة..
وأخت الشباب،
وزوجة الرجولة،
وابنة الكهولة.
في ليله يسمع من وراء الأبواب استغاثتها.
وفي رؤاه،
تتناهى من خلال الأسلاك والقضبان بسمتها.
ومن بين التراب،
وخلف الجدران،
والمسافات تنبعث أسرار هواها..
وفوق فراش الحُمّى،
والقلق يحاصره الكابوس بلا هوادة..
يراها راحلة عنه بلا جسد،
كشبح تهرب ملتحفة بالسواد..
يركض فلا يطولها..
ويصرخ فتخنقه إبر الحسرات،
والعبرات.
يستنجد..
فلا يجد إلا الواقع المرير.
فيقوم ليبرق إليها من منفاه،

كلمات علها تصل قبل فوات الأوان...

فيدوّن..: -

إلى المنفية في الوطن..

(وقوف)..

كلماتي لا تفي بصدق المشاعر..

(توقف)..

أخاف من الناقل،

والمرسل،

والسائل،

(وقفة)..

فلو أن الزمن الغادر يرحم..

(نقطة)...

والخرائط المرسومة حول الأوطان تعلم...

(صفر)..

وحراس الحدود والممرات،

تفهم معاني الحزن..

(توقف)...

لسريت إليك عبر الحواجز..

(توقيف)...

ولأقبّل وجنتي الحلم،

والسعادة،

والحب في وجهك..

(نقطة)..

قبل أن يتلاشى،
خلف أغطية الزمن،
المتلحّف بتراب الذكريات الغابرة..
(أعلمونا)..
وعبر الحدود،
يُلقى القبض،
على كل مساهم في موكب تشييع المستغيثة،
فالبرقية المرسلة،
ما زالت شفرة يُنظر في رموزها...

عرس في الوطن

كالحالم يدعى الجد لعرس الحفيد.
لكنه يظل على البوابة،
لا يستطيع الولوج.
فيشاهد المراسيم،
كأنه يراها مصورة على فيلم...
«ومن الداخل ينادينه العريس،
وأهله».
يمدون إليه أيدي النجاة،
كأنها تخرج من شاشة تلفزيون.
ومن بعيد،
يرى أم العريس تكنس مدخل فندق العرس،
فيسرع لتقبيل وجهها واحتضانها.
فيفاجأ بلقائها البارد،
فيتوجّس من الحُرّاس حولهما.

وعندما يتفَرّس في وجهها،
يصاب بالخيبة لأنه قبّل ابنته التي تُشبهها.
فيتحَسّر على الفراق الطويل...
الذي يجعل الغائب لا يميز بين الأقارب،
فكيف الأحباب، والأغراب.
ومن النوافذ يبتسم الأهل من جديد،
يدعونه إلى الداخل.
لكنه لا يستطيع العبور إليهم،
فثمة حواجز كثيرة قد نشأت ما بينهم،
تكبر يوماً بعد يوم.

ثنائية الميزان

1 . شاهد عصري

مقدمة:

أحكي عن أرقام إلكترونية،
تمنع أو تجلب الأمطار،
وموجات رادارية،
تحسب الابتسام،
وتحبس الدمع المرسوم على وجه،
مقموع، مقهور، مدمّر..
وعمليات حسابية،
تغتال الصدق والنقاء.

مدخل:

ـ أعترف أنا الموقع في أدناه،
بجرم المصفوعين على الخدود،
لأنني أعترف تماماً،

ببراءتهم،

وأعلم أيضاً،

أنه عندما تطوى الصفحات،

هناك من يكيل لهم بالعشرات..

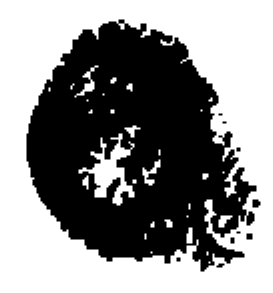
ـ أؤيد براءة كاتب الآتي من العبارات،

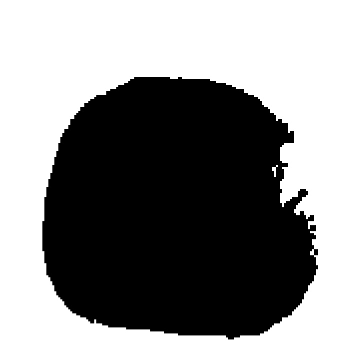
رغم كاتمات الأنفاس

وسارقات الأصوات في آلات التسجيل

التوقيع

شاهد من هذا العصر





2 ـ ميزان العدل

المدعي:

محور أول ـــ تُقدمني بصدق يا رفيقي،

للأعداء

للأحباب للناس.. ..

للقضاء الإنساني

محور ثان ـــ موضوعي يتلخص،

في أنني كلما أرى حلماً،

يتحقق في الواقع جرحاً،

ففي كابوس تطاردني الذئاب كل ليلة،

فأبحث عن العزم في الرد،

وأنا أحتمي بالصدق نهار مساء،

كما تقاسي الفصول لتلد من آلامها،

فصولاً فيها خير وعطاء..

محور ثالث ـ وفي الصباح أجدني في غابة العصر،

تحاصرني وجوه الذئاب،
فمن أين يأتيني النقاء..
ووراء الحدود تطاردني الكلاب،
فأقلّب خرائط الأوطان،
وأبكي على دموع الصدق في عيون مناضل ذبيح،
لا يدري هل أهدر دمه لقضيته حقاً،
فتبقى،
أم سيحرّفها شهود الزور،
والمزيّفون،
فيسقط منها ملعوناً،
متوزع الأشلاء بين المطاردات.

الراوي:

الخاتمة ـ أرى أن تشتري لك ميزان بائع خضراوات،
لتزن فيه معاني العدالة،
بين الكلمات،
ومدلولاتها،
أو تشتري فرشاة ترسم دموع الباكين،
لكل هؤلاء المهاجرين على الحدود،
والمطاردات،
وتمسح عنها صفة الحزن،
والشقاء،
بزهور الدفلى...

آمين

درنات الألغام

مثل حبات البطاطا،
أو حبات الكماة.
تنتفخ الألغام فجأة،
حول «ربيئة»،
أو طريق عام،
وفي الحقول بدلاً من درنات البطاطا.
اللُغم لم يكن ليقتل غير عابر سبيل.
فالكل محترس،
ومسلّح بخارطة.
الزارع،
والحاصد،
والنازع للُغم.
أما عابر السبيل،
فلا مسابر تقوده،

ولا عصا يتوكأ عليها،
وما إن تطأ قدمه سطح اللُغم،
حتى يقع بين خيارين، أقلهما حلاوة موته.
فإما أن يرفع قدمه،
وتتشظى أوصاله.
أو يموت واقفاً حتى يأتي من يُبطل مفعول اللُغم.

التقرير

يقرأ الموظف قصيدة مدح في رئيسه.
وعندما يصل إلى النهايات المفترضة،
يحتاج لعوينات نظر،
لتبدو معقولة كخاتمة.
لكن الرئيس يملّ،
ويستعجل الأمر.
فيقرأ الموظف سطوره الأخيرة بأسلوب إعلامي «متلفز».
معلناً حاجته لجلسات،
وحلقات،
ولجان،
ولجان اللجان.
لكي يقوم ببدء قراءة تقريره،
الذي جاء لإلقائه أصلاً.

ثنائية
الضيف والغرفة

ضيافة

يصادف دخول اثنين بوابة فندق ضخم،
أجنبياً يجر كلبه،
ووراءهما يدخل «أحمد»،
يقفز موظفا الإستقبال،
أحدهما يحتضن الكلب، وصاحبه بشغاف لُب شفاهه.
والآخر يلفظ أمعاءه،
لطرد «أحمد» من برودة المزايا،
إلى بخار يتوسط جوفه،
فيصعد الغيظ دخاناً في رأسه،
وتدور مع ندى الدمع،
أسئلة لا يلتقط منها (أحمد) جواباً شافياً فتبدو كلها كسنبلة مسوّسة تستحيل سواداً،
إذا ما فركت راحتي اليدين بإمعان..

أوامر الطبيب

يتردد صاحب كلب على البهو،
حاملاً حقيبة سوداء،
تدخل معه الغرفة السرية.
وفي دقائق تجلجل في سماء الأوطان،
زغاريد الرصاص،
كجواب لبعض الأسئلة،
مشروطة بمعادلة تتوازن لدى الناس،
كمفهوم غير قابل للنقض..
الرجل+ الحقيبة+ الغرفة المظلمة
=
رصاص+ دمار+ دماء..
بينما يساق «المواطن ض» للاستجواب بتهم عديدة.
منها:
ـ أنه المسبب،

وأن تهمته،

هي جنسيته ليس إلا.

ويحس «المواطن ض» بحاجة لنصائح طبيب «بافلوفي»،

فيحصل على وصفته المشهورة.

ذات النواهي التسعة:

ـ اترك قضم أظافرك.

ـ لا تسر دون نظارات ملونة.

ـ لا تدمن تحليل الأخبار.

ـ لا تفكر لها مدبّر.

ـ ابدأ بالانحناء قبل غيرك.

ـ أترك عادة التساؤل.

ـ لا تلاحظ الأشياء بتركيز عالٍ.

ـ لا تُعر كل الأمور الأهمية نفسها.

ـ ولكن تعلّم قضم الرصاص بلحمك،

ودمك فهو أهون الشرين.

ويقترن هذا الشرط لدى «المواطن ض»،

عندما يأتيه،

من يسأل بعد فترات الهدوء الساخنة،

بقوله:

ـ هذا الصباح مزعج الهدوء بارده.

ويحتج آخر قائلاً:

ـ طال الانتظار بلا حركة،

ويصرخ ثالث:

ـ ضجرنا بلا لعلعة الرصاص.

ويردد الكل بصوت واحد:

ـ تتت ععع بيب ننن،

ههي الحيييياة بلا مووووت،

لا قنا االبل نلفها بالخبززز......

«تعب هي الحياة، بلا موت، لا قنابل نلفها بالخبز...»

كالثعبان يصمم «المواطن ض» على نزع جلده عن نفسه،

معلناً براءته من هذا المصير.

واستقالته من جواز سفره،

ويهرب،

إلى جمهورية طوباوية لم تقترح حتى الآن. ـ

الشحنة الآدمية

عند الحدود، والمطارات،
تكون الأغراض، والنقود.
وأهم منهما الهوية،
وجواز المرور.
ودائماً يعلق المسافر بين أهمية الأغراض،
والحرص عليها بعد الوصول إلى المحطة القادمة،
إذ لولاها،
لا يكون للمسافر ما يدعى بمتاع.
وللمسافر في المحطة،
ما يمكن له أن يقتات عليه.
ولا يكون للهوية،
وجواز السفر تلك الضرورة المعيشية.
لكن يكون دائماً،
ذلك التناقض عندما يجتمعان،

ففي الوقت الذي يتم فيه تنسيق عملية شحن الحاجيات،
تبدأ عملية شحن الذات.
أي معاملات نقل المسافر لنفسه من حدود بلد لآخر...
وكما يحدث في الأحلام فإن التوقيت بين عملية الشحن،
وإجراءات عبور الحدود،
لها حدود فاصلة من جهة،
وتتداخل من جهة ثانية.
فالمسافر يكون ضمن كابوس قاسٍ.
يضغطه الوقت من جهة،
والوزن من جهة ثانية،
ولبسه لقناع البرود،
والبراءة،
وعدم الانزعاج، وطول البال مهما يحصل.
كلها على حساب السماح للشحنة الآدمية بالعبور.

ثلاثية الغائب

1 . المخدوع

لم أستغرب عندما دونت في مفكرتي حادثة «أوتيبف»[1]،
ولم أتعجب،
ولم أُفجع.
فالماثلون أمام كل اتهام،
قد سُلخت جلودهم آلاف المرات.
ولم تشأ الذاكرة أن تستعيد..
أمثال هولاكو، وإن لم يعترفوا،
أشباه هولاكو، وإن لبسوا مسوح الملائكة؛
أقران هولاكو، وإن تعبدوا، وتنصّلوا، وتابوا.
المخطوف «أوتيبف».
مثل أقرانه،

(1) أوتيبف: اسم رمزي لمناضل في حرب تحرير معاصرة، اختطفه محتلو بلاده، وأبادوه بنصف ساعة.

مثل، مثل، ومثل....
وهذا لوركا المخدوع بطلقة رصاصة،
وذلك والد هاملت الهالك بسمّ،
وتلك، وذلك، وأولئك...
لم يكونوا غير «أوتيبيف» من نوع آخر،
دخل «أوتيبيف» الاستجواب،
وغاب بعد نصف ساعة من الطقوس،
ولم يعد حتى الآن.

2 ـ الشمّاعة

من بين دخان لفائف التبغ،
تبرز أنوف أربعة فقط،
كل أنف في اتجاه.
غير أن الوجوه ثمانية،
والعيون ست عشرة،
والأذان اثنتان وثلاثون.
أما الأقدام فهي كثيرة العدد،
ومتنوّعة.
بحوافر، وأظلاف، ومفاصل.... إلخ.
وعلى طاولة الاستجواب يشع جسد «أوتييف» كبريق ضياء مركبة فضائية.
فتتقاطع الأصوات....
ـ أيها الماثل أمامنا؟
ـ .....

ـ اسمك، عمرك، مهنتك، وهويتك؟

ـ .....

ـ أنت متهم بإتلاف الذخيرة القديمة في البحر؟

ـ .....

ـ أنت المسؤول عن دفن النفايا النووية في رمال الصحراء؟

ـ .....

ـ أنت الساعد الأيمن، والذراع الأيسر للعنف القاري؟

ـ .....

ـ أنت المسبب لتلوّث الدم البشري؟

ـ .....

أنت المنادي بتلوّث السمع العالمي، وتعميم الضوضاء؟

ـ .....

أنت مفسد الأدوية، والأطعمة؟

ـ .....

ـ أنت وراء كساد سوق السلاح؟

ـ .....

أنت... أنت... أنت...

ـ .....

ـ أنت من جعلنا نسمع الموسيقى من طريق أقدامنا؟

ـ .....

وعليه.

ـ .....

وبناء.

لكن المتهم «أوتييف» كان قد مات بعد النصف الأول من الاستجواب، وينشر البيان الهام:

ـ لم يمكث السيد «أوتييف» أكثر من نصف ساعة!!!

غير أن الحقائق الدامغة لم تعلن إلا بعد نصف قرن.

3 ـ نصف ساعة

عندما انقسمت الساعة إلى نصفين.
شُمعت الإيقاعات من آذان الأقدام،
ومن أفواه «أوتييف» بعد نصف ساعة من الاستجواب!!!
ومنذ نصف الساعة المعلن،
لم ير أحد المدعو «أوتييف»!!!

رائحة الكبريت

عندما جاست حوافر الحصان أكوام الثلج، وأصدرت باحتكاكها الرخو، أصواتاً تغلق صوت صليل الحديد بصوت انغغاط الثلج القطنية. وتحفّظ «نازار» وتوجس وهو يصيخ السمع لكل نسمة عابرة. بل إن الحصان نفسه لم يبد أياً من حركاته المعتادة، وصهيله المفاجىء، كأنه يشارك فارسه مهمة سرية عليهما إنجازها بكل حذر. وأحست «زمرّدة» بهذا أن ابن عمتها قد نجا بها من سماء «دياربكر»[1] الدموية. لكنها أسفت كيف لم تستطع توديع ابن خالتها الوليد، وأمها في تلك العجالة. فحرصت على الإمساك بالصرّة التي أودعتها إليها أمها، ولا تدري «زمرّدة» حتى الآن ما بداخلها، غير أنها أحسّت بأن ما بداخلها ثمين، على الأقل بما يحمله من معانٍ. وها هما «زمرّدة، ونازار» على مشارف «الموصل»، وقد فاحت رائحة الكبريت في سماء «دجلة» الغريني. وتبادر لذهن «زمرّدة» لقاء أطفال الخال، وزوجته «نسرين» التي سمعت عن جمالها الجبلي النادر. أما ابن عمتها فقد أجهده كثيراً

---

(1) ديار بكر: بلدة في جنوب تركيا. أسسها الملك ديكران الكبير.

التركيز بعيون واسعة الأحداق على مداخل، ومخارج، ومفترقات الطرق، في ليلة ظلماء لا ينيرها إلا بريق الثلج. تحسباً من عسكر «الملّي»[2] الإنكشاري الذي يصطاد الضحايا، ويغربل رمادهم بحثاً عن ليرات الذهب التي بلعها الفازون.... وعندما ارتوى الحصان من رافد «الخوصر»[3] الذي يصب بدجلة عند أقدام «تل قوينجو» شمال شرق الموصل. أيقن «نازار» أن «زمرّدة» في مأمن الآن. وقد أوصلها بسلام. وبدأ يستمتع بجمال «الموصل» الساحر، وقد ظللها البرد بعتمة الغبش، لفجر يوم شتائي خاص، ستذكره «زمرّدة» وأحفادها منذ الآن.

وها هي رغم حاجتها لإغفاءة نوم طويلة، لكن سحر السكون، وتنهّد النهر بين ضفتي الموصل، ومشهد العبور فوق جسر القنطرة الحجري خلف إبن عمتها، إضافة لذلك الشوق في رؤية الخال «نجيب» جعلها كل هذا تودّع النعاسْ ومغالبة النوم. ويجيبها «نازار» كأنه يسمع نداء هواجسها قائلاً:

ـ لن يبقى علينا سوى الصعود إلى سوق النجارين في حي القلعة حيث بيت خالك، لكي ترتاحي، وتنامي. وقد نجوتِ... أما أنا فعلي العودة للنار من جديد.

ويكون الخال، وجيرانه منتظرين بفارغ الصبر فلول الفارين من جحيم التهجير فيطعموهم، ويلبسوهم، ويرعوهم، بعد أن يمنحوهم الدفء، والفرح، والحنان الذي لم يحسوا به منذ أن افتقدوا الطمأنينة. فكيف إذا ما استقبل «نجيب» ابنة أخته التي لم يقابلها من قبل؟

(2) الملي: الألف، كناية لسرية عسكرية متكونة من ألف.
(3) الخوصر: رافد لدجلة عند مشارف مدينة الموصل.

الوليمة

عندما اكتمل ضيوف وليمة زفاف «منصور» إلى «سيرين» ابنة عمته. أيقن «منصور» أن الأربعين يوماً التي انقضت على أبيها كافية لكي تؤمّن له السيادة. وفي الحال، وقبل أن يدعو كبير الضيوف للبدء بتناول طعام وليمة الزفاف، دعا «منصور» سيّافه لكي يحمي أسياخ شي اللحم في الموقد. ويسأله والده العاجز ـ وقد توجّس من إحدى مكائد إبنه ـ عن الغرض من تقديم لحم مشوي ما دام الطعام جاهزاً، فيجيبه «منصور» ببروده الصخري قائلاً:

ـ أريد لضيوفي أن يأكلوا طعام عرسي بعيون دامية...

ويعجب الجمع من الجواب. بل ويضحك البعض للمزحة القاسية، لكنهم في عرس مضيفهم، ولم يطل العجب لأن ثلة من حرس «منصور» كانت قد دخلت على عجل، وقابل كل اثنين منهم ضيفاً، أحدهما يكتّف الجالس، والآخر يسمل عينيه بالسيخ الحامي، دون أن تدمع لـ «منصور» عين.

ويفجع والده، بل وترده نفسه إلى الحقيقة المرة، وينبس بغثيان

من بين فكين خاليين من الأسنان مبهوتاً:

ـ هاههههه، هيهههههه، هوهههه!!!

ويجيبه«منصور» قاطعاً تأوهاته، لاهياً بتوجيه ثلة ساملي العيون، وهو ينتظر بفارغ صبر تنفيذ المهمة العاجلة، والحاسمة:

ـ سيأكل ضيوفي هؤلاء من ولائمي حتى الموت. لأنهم بصموا بمُقلهم على وثيقة ولايتي لهم.

ويتيقن الأب أن الصمت أفضل، وأن أحشاء زوجته قد ولدت أفعى سرعان ما سينهشه معهم. فمنذ أن كان يافعاً، قتل «منصور» أخاه، وبعد خمس سنوات اغتال عمه، واحتال أخيراً على زوج عمته. ولم يعد الأب يصدّق أن له ابناً مثل اخوانه البشر.

وأكل الضيوف لحم الوليمة الممتزج بدماء عيونهم... وقد وضعت فوق العيون قطع القطن المشبعة بالزيت المغلي... ولآخر مرّة ذاق الضيوف طعاماً رأوه أمامهم بعيون سليمة. ولن يروا بعد اليوم أين موقع الكتف، من الصدر في لحوم الولائم.

ومن فوره قام «منصور» ممتشقاً خنجره من غمده، ليدخل على عروسه «سيرين». فأولدها بعد تسعة أشهر توأماً...

وبعد أربعة عقود ذبح التوأم الأصغر «منصوراً» بطلب من والده بعد سَمل العينين. وتولى الابن من بعده دون منازع.

ثنائية الشتات

1 ـ مقابلة

حين قابلت الراعي لتسأله عن طريق «البتراء»،
طالعها، وعاين أوراقها، وكاميرتها، وقال:
ـ «آنوونيه إنجيه» ما اسمك (بالأرمنية)؟
فجفلت؛
وسرت رعشة كأنها دفقة دم حارة من شريان تفجّر،
وقالت دون تردد:
ـ أناهيد[1].
وتعجّب لفطنة الصحفي في عينيّ راعٍ.
فقد جاءت لتعد تقريرها عن الآثار،
وها هي تبحث في علم الأجناس.
صارا يتبادلان المعلومات،
وقد ذابت المسافات، والسنون، والحواجز بينهما.

---

(1) أناهيد: اسم فتاة أرمنية، وإسم آلهة لحب لديهم.

فالراعي اليتيم «آغوب»[2] قد قتل التتار أهله.
و«أناهيد» حفيدة مهاجر هرب من جيش الإنكشاريين،
ولجأ إلى دولة شمالية.
قال «أغوب» لـ «آناهيد» في وداعهما وهو يداعب كلب الرعي:
ـ ما أجملك من فتاة!
فأجابته بضحكة سعيدة وهي تلتقط له صورة:
ـ ما أعظم فراستك أيها الراعي العجوز.

(2) آغوب: هاكوب: إسم أرمني يعني يعقوب.

2 ـ المتنكّر

عند جادة «نيشان طاش»[1] وقف «ميسروب»[2] يبيع الأمشاط،
يدلل بكلمة «بازار.... بازار»[3]..
وقد تنكّر في هيئته، ووجهه، وصوته.
لكن روحه لم تتنكر لعينيه اللتين تمسحان المعالم من اليمين إلى اليسار...
ومن الشمال إلى الجنوب،
فينظر للقادمين بألف عين...
مثل مسبار لا حدود له.
ولأن ميسروب له رائحته الخاصة فقد وقف على «البسفور»[4] مرّة،

---

(1) نيشان طاش: مكان إحدى المسلات الحثية في استانبول، تعني بالتركية الحجر المعلّم.
(2) ميسروب: اسم أرمني.
(3) بازار: السوق: التنزيلات.
(4) البوسفور: مضيق على بحر مرمرة في مدخل استانبول من الشمال.

ونام على رصيف عند «طرابية»[5] مرة أخرى،
وانحنى تحت قلعة «غلاطة سراي»[6] مرات عديدة،
وزهد أمام حي «قرطولوش»[7] عندما شم روائح أهله وقال:
ـ من هنا سال الدم، وهنا احترقت أطراف الأصابع...
لكن صوتاً من الأفق الجنوبي صرخ بنداءات الناس المحمومة،
كأن التاريخ يعيد نفسه فيقول:
ـ أنتم مدللون في العاصمة الثلاثية... فعندنا تغلي الأظافر فوق نار خشب الكستناء، والبلوط.
وأراد «ميسروب» أن يتدفأ من برد الشمال بنار الجنوب،
لكن الأصوات نبهته من جديد قائلة:
ـ وفي الوديان آلاف الأرواح تنادي بمطر يغسل الجراح، والذنوب ليعيد الأول من بدايته.

---

(5) طرابية: ضاحية في استانبول على البوسفور.
(6) غلاطة سراي: قلعة في استانبول كانت في الأساس فناراً لإرشاد السفن، اشتهرت بواقعة اغتيال السلطان عبد الحميد الفاشلة.
(7) قرطولوش: حي الخلاص في استانبول أحرق في أحداث شغب طائفية.

حياة صامتة

على سفوح الشمال،
زهور تعاني من الأمرّين.
فهنا المطر والعطاء،
ولون الشمس الساحر.
وفي التربة سخاء دماء شابة تشرّبت بتخمة مفاجئة.
زهور فانية،
ولحظة مسروقة من الصفاء.
سرعان ما داستها قدم الوحش الفولاذية بمياهها الثقيلة.
لكن زهرة بخمس رؤوس تفتحت على مقربة من الزهرة الضحية تدعو جيرانها الزهيرات للنهوض،
على زمن الربيع المتعجّل.

غزل نووي

تسافر عينا الرائي إلى أعماق مدن الروح بـ «مشواف» دقيق...
وترصد بمغلاق سريع،
الحركة الذرية للعشق بين الجزيء، والجزيئة...
وعندما تعيد عرض الشرائح المصورة.
تتعرّف إلى «سايكولوجية» التصرّف في لقاء المحبّين،
فليس لدى الجزيء ورود يهديها،
ولكن بعطره يسحر الجزيئة، ويخطف ودّها.

ثوانِ الصيف

يشتكي أهالي قرية ريفية وادعة:

ـ فاجأنا الصيف، ونحن نعتصر خضاب النبيذ أمام مدفأة شتوية.

وعندما علت الزرقة في السماء،

انزعج الناهضون من عصر تبدّل المواسم بثوانٍ. وخاب ظنّهم.

فلم يبقَ لرائحة الورود شذى،

ولا لطعم الفواكه من مذاق.

هواتف

يرنّ الهاتف ثلاثاً:
ويرفع المحامي سمّاعة الهاتف، وينصت...
ثمة ألسن مبلبلة للغات الجهات الأربع،
لكنها تدل على الاستغاثة:
ـ محجوزون وراء الأسيجة!!
ـ مشرّدون خلف الحدود!!!
ـ غزانا التتار ونهبوا ميرَاثنا!!!
ـ حُرقت مزارعنا بالأشعة القاطعة!!
ـ شرّحنا المرقاب، وشوّه ذاكرتنا!!
ويصاب المحامي بالصمم،
فقد فهمت حواسه شفرات الألسن...
لكن ما بيده حيلة،
ولا معه وسيلة.

حاسب عددي

يقول عالم معاصر:

لو أننا أدخلنا ثمانية حروف في ذاكرة شيخ عجوز،

وضغطنا على الأصفار بمتوالية عددية،

لم نضف،

ولم نضاعف،

ولم نقسّم،

لخرجنا عن الذاكرة برموز لخطابات دقيقة لكنها بلا عواطف،

ولا مشاعر.

لكن الذاكرة المحفوظة، لها قنوات وجدانها،

لأن لها ردود أفعالها،

فلا الأرقام،

ولا الحروف منسوخة برامجها فيها.

طاقية الإخفاء

يتوقّع أزهر أنه سوف يقابل صديقه الطبيب،
في وقت قريب،
فيتخيله في حلم يقظة، وقد خرج من غرفة العمليات،
ليخلع قلنسوته، استعداداً لملاقاته.
لكن ثعلباً ماكراً يهرب منها،
فلا يغتاظ كلاهما،
وتبدو المسألة كأنها في حلم.
وتأتي رسالة من الطبيب،
من غربة الوطن الحبيس،
تؤكد أن ما رآه أزهر لم يكن سوى حلم أبيض،
وأحد أنواع التخاطر،
وها هو الصديق الحبيب،
يذكي في نفسه لواعج الغربة المتربعة داخل الفرد،
حتى في وطنه الحبيس،

فما السبيل، والثعالب تخرج كل يوم من تحت القلنسوات،
في كل مرّة وبأشكال متعددة،
ومختلفة،
كأنها معديات الأمراض التي تتحدى المبيدات في علاجها،
لأنها تقوم بالتكييف،
والتصدي بأسلحة دفاعية جديدة.
ويكتب أزهر رسالته في الحال،
للطبيب الصديق،
يعزيه على غربته في الوطن الحبيس،
ويشجع نفسه من خلاله.

شارع أسود[1]

انتبه مدير البنك المهاجر منذ ربع قرن،
وكأن هاتفاً من ذاكرته دعاه للتأمل،
فقال له الآخر الصغير في داخله:
ـ في شارع أسود،
بيوت اصطفّت كأنها قطع «دومينو»،
كلها تشير إلى العدد الزوجي «الجفت».
أبيضان «حبي بياض»، واحدان «حبي يك»،
اثنانان «إيك كليّ»، ثلاثتان «دوسيه»،
..................سبعتان «دوحفت»،؟
فهل تلعب البيوت في زمن الرخص،
لعبة «الدومينو» السباعية من غيظها؟
ويجيب مدير البنك آخره الصغير من الخارج،

(1) شارع أسود: أحد شوارع بغداد في الكرادة الشرقية.

من خلال أرقام ودائع عملائه قائلاً:

ـ ليس بلعب «الدومينو» وحدها الربح والخسارة؟

ما دامت البيوت تقف،

ولم تنحن،

أو تتضرّع،

ولسوف يشتري الأحفاد،

أشجار الصفصاف،

وينثرون غبار طلعه حتى يغطي سماء شارع أسود كل ربيع.

مكارم

يقول الممثل العائد:

ـ إن المسرح كان هنا،

وتجيبه مرافقته الممثلة الناشئة بفخر:

ـ لكن الزعيم قد جعله قصراً لعبيده، وخصيانه،

وقد بارك حركتنا المسرحية بهذا العطاء.

ـ وهذه مكتبة الفنون.

وتجيبه المرافقة:

ـ آه كانت مكتبة لا يدخلها غير المتقاعدين،

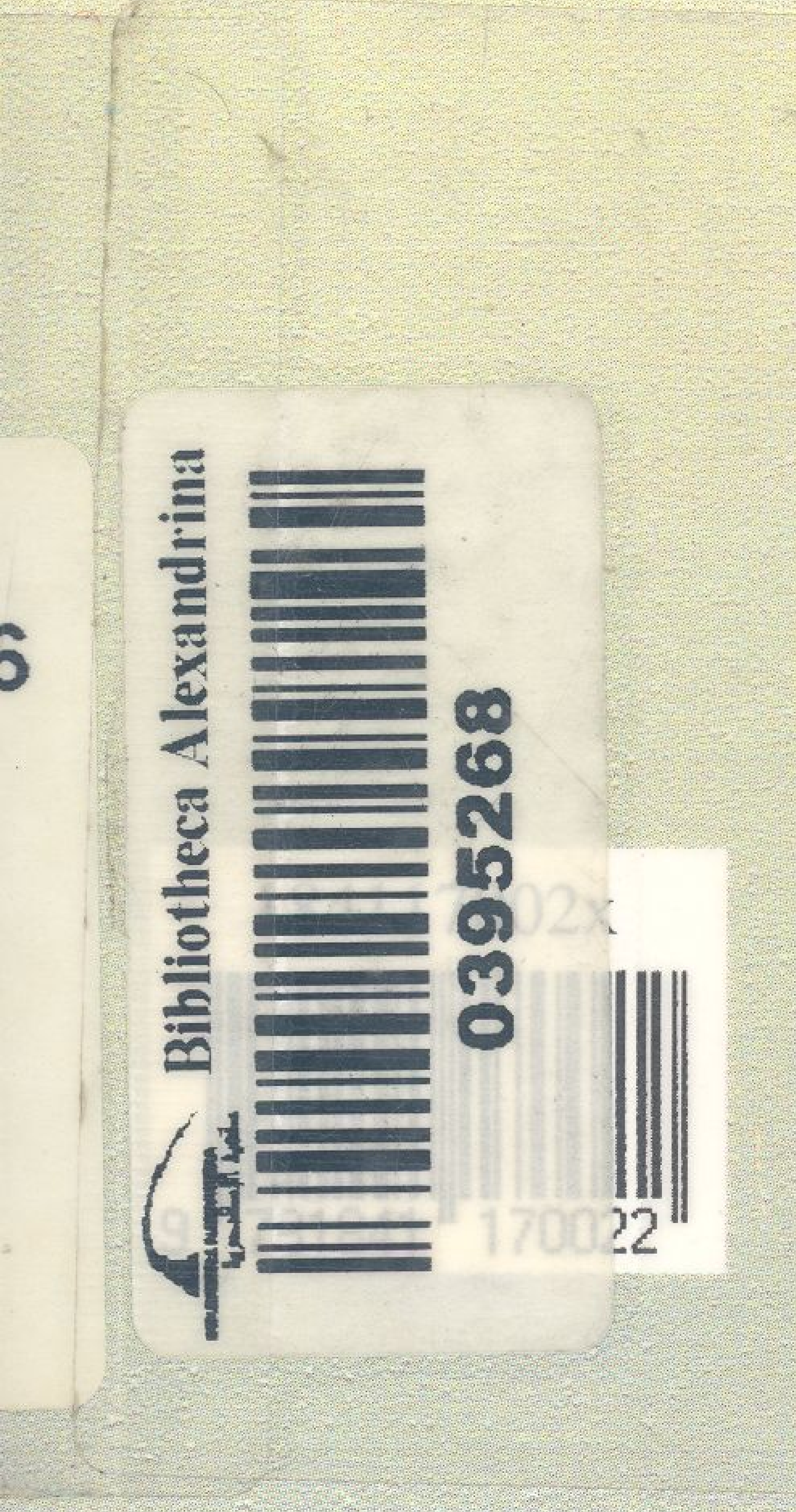
أما الآن، وبعد أن أصبح المبنى قصراً للقيان، والجواري،

فإن العساكر المحاربين،

في سبيل بقاء الزعيم قد ملؤوها بخيراتهم.

وتضيف:

ـ تلك مكرمة أخرى من مكارم الزعيم لماجداته.


Bibliotheca Alexandrina
03395268

